

# توظيف الرصيد اللغوي وأثره المعرفي والتداولي للعربية

د. فايز الداية

بحث مقدّم إلى مؤتمر مجمع اللغة العربية بدمشق

2019

## توظيف الرصيد اللغوي وأثره المعرفي والتداولي للعربية

### كلمات أولى

حالة الضعف والتفكك في الأداء اللغوي المعاصر للعربية الفصيحة باقية في جوانب تداول اللغة، على الرغم مما تقوم به المؤسسات التربوية والثقافية، وما يصدره القائمون عليها. هذه مشكلة لا تنتظر العلاج بسرد نظري ومناقشات تبتعد عن وقائع العيش، بل نحن بحاجة إلى اقتراح عملي، ومباشرة في جوانب حياتنا المعاصرة.

لعلنا نغادر رغبة التميز الشكلي في أن يحمل عملنا صفة (الأول) لنكون مبدعين! قدمنا ما لم تقم به الأوائل، ونحن في حقيقة الأمر أقرب ما نكون إلى نقض غزل من بعد قوة أنكاثاً.

والظن أن نمسك بما يمكن أن يتابع من إنجازات نكملها، ونتدارك بالتجريب النشاط غير المتداول في زمنه ما فاتها أو ما اكتشفنا عدم جدواه، وتأدى بنا إلى رؤية لحل، وهنا تضيء الطريق الخطوة المشتركة في جهات وطننا العربي الكبير الواحد- رغم ما يريدون له من تشتيت وتباعد- لننتج الأفضل والمثمر.

هذه ورقة تدعو إلى الحوار حول جانب محدد (هو الرصيد اللغوي) للعمل على إغناء العربية المعاصرة أداة حضارية متفاعلة، والباب مفتوح للحوار وللتوسع أو تحديد مسارات فيها الجدوى.

## الحالة اللغوية العربية المعاصرة

إن الحديث عن حالة اللغة العربية واسع الجنبات، وما قصدنا إلا رسم الإطار الذي تكمن بداخله القضية أو المشكلة اللغوية التي سنتناولها في هذه الورقة، ونحن على أعتاب نهاية الربع الأول من القرن الحادي والعشرين، وأعيننا على مستقبل اللغة العربية، ونحن نؤمن بقدرتها على عبور مسارات الأيام الآتية كما اجتازت سبعة عشر قرناً من قبل.

كانت العربية تشهد في مسارات الحضارة أحوال ازدهار، فتنسج للمعارف وألوان الحضارة المادية والفكرية والفنية، وتنتشر على مساحة كبيرة وتنطق بها الألسنة في المحافل المختلفة، وعرفت أطواراً من الضعف وضيق المدى الذي تتحرك فيه، وكانت تلوذ بمواقع تحفظ جذوة لها لا تلبث أن تجد رياحاً تعيد التوهج إلى الجمر الغافي.

نحن نشهد في هذه الحقبة الزمنية القريبة مفارقة تبدو غريبة، ذلك أننا عندما نرجع النظر في طرفي المئوية الأخيرة 1919-2019 تأخذنا الدهشة، ففي مطلع هذه المئوية و رغم الأدوات القليلة والإمكانات الاقتصادية الناشئة خاصة في المشرق العربي، وقلة معاهد التعليم، والإرث الثقيل للمرحلة العثمانية وما جاءت به جيوش الطامعين الأوربيين ومن وراءهم، كانت العربية في صعود تبدل الاستخدام اللغوي في كل المجالات ليكون صحيحاً وجميلاً، وانزاحت بالتدريج الألفاظ والعبارات الغريبة سواء بعجمتها أو بتحريفها الذي طرأ عليها في اللهجات، وكان الجميع يسعى معها محبباً ومعتزلاً، وفي الطرف الآخر ونحن شهوده تظهر حالة نكوص رغم مظاهر الحضارة المتطورة بآلاتها وعمارته وطرائق العيش وكثرة عددية للمدارس والجامعات ولوسائل الاتصال الحديثة من إعلام بأشكاله المقروءة والمسموعة والمرئية وشبكة للمعلومات وهواتف ذكية فيها إمكانات كبيرة جداً، وطرق التسجيل والاستعادة للمعلومات والكتب والصور... إن العربية الفصيحة الصحيحة غائبة عن هذه المشاهد وما يحضر منها لا يتجاوز جزراً صغيرة بالقياس إلى المحيط الطامي، والأمر لا يحصر بالأداء الشفهي الضعيف أو المكسرة أطرافه، وإنما امتد الخطأ والخلل إلى ما يُكتب ويُدوّن في الكتب والمجلات والصحف والمواقع الإلكترونية لتلك الصحف، وإلى ما يدوّن مستخدمو وسائل الاتصال المعاصرة في التغريد (twitter) وصفحات الوجوه (facebook)، وقد استطاعت الحملات المنظمة على اللغة العربية أن تيبث الوهن لدى كثيرين في علاقتهم بلغتهم، فهم لا يهتمون بإتقانها، ولا يجدون حرجاً في الأداء الخاطئ.

وإذا قربنا عدسة المنظار من قطاع أساسي بالنسبة إلى اللغة والتمكن منها أداة تواصل وتفاعل وإنتاج حضاري، وهو المؤسسات التعليمية من المرحلة الأساسية والثانوية والجامعية فسند مركز المشكلة الذي ينداح مع أفواج هؤلاء الذين يدخلون إليها؛ ومن ثمة يتوزعون في كل زاوية من المجتمع وأطره الحضارية المادية والثقافية والفنية. فمع ضعف المادة العلمية المتداولة- الذي يظهر في ندرة الابتكار والاختراع، وعدم التأثير إيجابياً في تطور الحياة في مجتمعاتنا، ومايستخدم إنما هو ناتج عمل المجتمعات الأخرى وعلمائها- نجد أن اللغة العربية تعاني حالة من الفقر المرضي في جسمها المعاصر، وتكفي الإشارة - المرئية والمسموعة - إلى أن تدريس مقررات اللغة العربية ذاتها لا يؤدّي بالعربية الفصيحة، وإنما هو خليط لا قوام له. وقد أنشئت المدارس الخاصة التي تعلّم موادها جميعاً باللغات الأجنبية، ويهرع إليها المقتدرون مادياً لضمان مستقبل ناجح لأبنائهم مع لغات فاعلة، كما ازداد الاعتماد على اللغة الأجنبية في الجامعات العربية.

تتوجه دراستنا في هذه الورقة إلى قطاع التعليم الأساسي ( الابتدائي) و يحيط بالحديث القسم الإعدادي لوضع برنامج لتنمية الرصيد اللغوي وائتلافه مع الحديث والتعبير والحوار، وسيرافق ببرامج مختلفة في درجاتها وطرائق تفعيلها تتوجه إلى قطاعات أخرى للتداول اللغوي كي لا يكون

عملنا كمن يلقي بحجر في تيار جارف للنهر، وكذلك نضيف تكملة للصورة المعاصرة التي تحتاج إلى قرارات رسمية حازمة ومتابعة حثيثة، وإلى إيمان الناس باللغة العربية ضرورة وجود لا ترفاً يمكن تجاوزه إلى ما يتصور أنه جوهر العيش، فالإرسال الإعلامي في القنوات العربية يبت كما كبيراً في أخباره وأحاديثه وحواراته وأعماله الدرامية، وما يحيط بالعيون من الإعلانات وأسماء المحلات والشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية يمكن تشبيهه بالشبكية التي تضبط الرؤية وهي في خلفية العين، ولا تصح الرؤية إلا بسلامتها، وقد أدركت إدارات في الوطن العربي هذه المسألة، وصدرت مراسيم وقرارات بشأن سلامة اللغة فيها، وسورية مثال على ذلك منذ خمسينات القرن العشرين، ولكن تراخي التطبيق في دورات تكررت عبر عقود أفقد القرارات فاعليتها، فالمطلوب أن يكون كل مواطن عربي غفيراً على اللغة، وكان هذا شعاراً في الشأن العام في تلك المرحلة في سورية، ونلاحظ هنا أن الاجتهاد اللغوي في مصر أطلق مصطلح غفير على عناصر الأمن في الريف منذ الثلاثينات مقابل الكلمة الأجنبية في المدينة (البوليس) التي تحولت إلى الشرطة.

وأشير هنا إلى ظاهرة مزدوجة الدلالة في هذا الإطار العريض لتداول العربية في جوانبه السياسية والثقافية، فقد كانت الإدارة البريطانية الاستعمارية تريد الوصول إلى الجمهور العربي مع بدء البث للإذاعة من لندن في أواخر الثلاثينات من القرن العشرين والتغلغل في وجدانه وارتباطه بهذا المصدر الإعلامي وخاصة إبان الحرب العالمية الثانية 1939-1945، ومن ضمن إجراءات ما سمي بمؤسسة (B.B.C.) - إضافة إلى السياسة الإخبارية في ظاهر حياض وخيوط تدخل النسيج مما تريد سياستها ومواقفها؛ واستقدام الفنانين العرب مطربين وممثلين ومحاوره الأدباء والشخصيات المرموقة في كل العواصم العربية- العناية الفائقة باللغة العربية في كل ما يصدر عن المحطة الإذاعية، واستقدمت خريجاً أزهرياً متمكناً لمتابعة كل النصوص وتدريب العاملين فيها، واختارت المذيعين المميزة لغتهم، وبعد التمكن من جمهور متابع عبر عقود نرى منذ سنوات التراخي في الأداء اللغوي العربي في البث الإذاعي وفي البرامج المتلفزة وفيما يكتب من أخبار في الموقع الإلكتروني، وقد يخطر في البال أن هؤلاء العاملين في هذه المؤسسة هم نتاج الحالة العربية الراهنة - وهم من أقطار عربية مختلفة- ولكن الأقرب إلى التأويل هو أن العربية كانت أداة للتقرب وبعد إنجاز المهمة لم يعد هناك اهتمام أساسي بها يحرص كما هو الشأن في اللغة الإنكليزية.

## المشروع القومي للرصيد اللغوي العربي

أنجزت جهود عربية خطوات في مشروع (الرصيد اللغوي) في إطار المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تستحق التقدير، وهي تقدّم من جهة البرهان على إمكانية تضافر الطاقات في أقطارنا العربية، ومن جهة أخرى نلاحظ بطء العمل في حركة يسابقتها تيار الزمن المعاصر بمستجداته، ونصل إلى أننا بحاجة إلى ضبط الإيقاع ليغدو قادراً على مسايرة ما يجري في العالم حتى نحقق الأهداف الحضارية من خلال فاعلية عالية للغة العربية. وسنعرض معالم هذا المشروع مع تصوّرات الاستفادة منه كما وردت باسم المنظمة العربية ت.ب.ع. في مقدمة الكتاب الذي اشتمل على الرصيد: (1)

\* قررمؤتمر التعريب الأوّل في الرباط 1961 :

“ حصر الألفاظ التي يشيع تداولها بين تلاميذ المرحلة الابتدائية والإفادة منها في إعداد رصيد لغوي موحّد لتلاميذ هذه المرحلة” (2)

\* في مؤتمر وزراء التربية والتعليم لدول المغرب العربي 1967 تم إقرار ما أنجز من الرصيد اللغوي العربي الوظيفي للصفوف الأربعة الأولى في المرحلة الابتدائية.

\*في المؤتمر الثاني للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1971 تقرر التوسُّع في مشروع الرصيد لتشارك فيه 16 ست عشرة دولة عربية، ويكون ( معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر) مسؤولاً عن حصر وتبويب وإخراج المشروع " وذلك بأخذ عينات مما يُعَلَّم لتلاميذ المرحلة الابتدائية، ويكتبونه، وينطقونه، ويتعاملون به" ويؤخذ الفصح في الصدارة، ثم يتم تفصيح العامي والدخيل الأجنبي.

وجاء الهدف بعبارات(3) " ضبط سياسة لغوية تمكّن من التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وتحقق الذات العربية الإسلامية " [!]، وكذلك توصل إلى مفردات وظيفية لهذه المرحلة العمرية التعليمية وقدراتها النفسية تتجاوز إشكالي الإفراط في مترادفات وكلمات بعيدة الاستعمال ومدارك التلاميذ، والتفريط البارز في نقص في كلمات الحضارة المتنامية، وبهذا يتم التركيز على المتعلّم واحتياجاته

وقد أقرَّ المشروع سنة 1976 وشكلت مجموعة عمل في ( الأردن، تونس، الجزائر، السعودية، السودان، سورية، العراق، الكويت، مصر، المغرب) مع خبراء من: المنظمة العربية، ت، ث، ع. سارت الخطة في المراكز العربية في حصر الرصيد : ممّا يقرؤه المتعلّم في الكتب المدرسية، وما يكتبه في كتاباته، وما يسمعه من محيطه، وما ينطق به هو نفسه، وتم جرد المنطوق فكان (1600000) مليوناً وست مئة ألف كلمة، وجاء المكتوب فيما يزيد على المليون كلمة. وتمت الاستفادة في المشروع من إنجازات الباحثين في هذا المجال في عدد من اللغات الحية.

عرضت هذه الحصيلة على لجان المراجعة والتدقيق والإضافة في عدد من البلدان المشاركة في المشروع، ووضعت القائمة في صيغة أخيرة في (معهد العلوم اللسانية والصوتية) بإشراف د. عبد الرحمن الحاج صالح، وأنجزت الطباعة سنة 1989 في كتاب صدر عن المنظمة حمل عنوان: ( الرصيد اللغوي العربي لتلاميذ الصفوف الستة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي).

واقترح عدد من الوسائل والأساليب لاستغلال هذا الرصيد، وتعميم استعماله فيما تقدّم لتلاميذ المرحلة الأولى من التعليم الأساسي من مادة تعليمية وتنقيفية وعلمية، وبهذا تتوجه إلى مؤلفي الكتب المدرسية والمعلمين، ففي القائمة نواة وظيفية تستجيب لما يحتاجه الطفل في حياته اليومية : البيت والشارع والمدرسة والملعب... ضمن قدراته العمرية، وفوق ذلك تشكل رابطة توحد لغة الناطقين بالعربية في بيئاتهم المختلفة، وتسهّل تعلّم العربية، كما يمكن الإفادة منها في تعليم غير الناطقين بها من المغتربين والأجانب.

وفي مرحلة تالية يتم إصدار هذه الحصيلة في معجم مبسّط مشروحة ومدعومة برسوم وصور وأشكال، وهذا يساعد الأسرة في متابعتها لتحصيل أبنائها للغة العربية وفي تأصيل عادة المطالعة، وثمة فرصة لاستخدام هذا الرصيد في البرامج الإعلامية الموجهة إلى الأطفال وما يكون معها من أعمال درامية متنوّعة .

## ماهية الرصيد اللغوي العربي في منجز المشروع

لم يُحدد مقدار الرصيد في المقدمة الممهّدة له، ولكننا وجدنا الصفحات المشتملة على الكلمات تبلغ 81 إحدى وثمانين صفحة وبحساب تقريبي يتجاوز العدد الستة آلاف كلمة (6215)، وقد وزّعت على تسعة أقسام هي أقرب إلى الحقول الدلالية، ويتفرّع عدد منها إلى أقسام جزئية ونوردها كي يكون التصور واضحاً في الكلام عنها، وعناوين هذه الأقسام وتفرعاتها تتكرر مع كل صف من الصفوف الستة مع بعض الاختلافات القليلة في زيادة أو نقص لبعض الأقسام الجزئية:

## “1- جسم الإنسان:

أعضاؤه والأفعال المتعلقة به/ صفاته/ الحواس وما إليها/ حياته العاطفية/ حياته العقلية والثقافية/ النظافة والتجميل/ المرض والحوادث والعلاج/ الرياضة واللعب/ الترفيه والأفراح/ الملابس والأدوات الشخصية/ الطعام والشراب/ أعضاء الأسرة/ العائلة، أطوار حياة الإنسان/ السكن أجزاءه وتدبيره.

## 2- الحياة الاجتماعية:

المدرسة/ الأخلاق/ الصلة بالغير/ الدين/ المدينة والقرية/ الأسفار ووسائل النقل.

## 3- الحياة الاقتصادية:

الفلاحة/ الصنائع/ التجارة.

## 4- الحيوانات:

الحيوانات الأهلية/ الحيوانات البرية/ الطيور/ الحيوانات البحرية والأسماك.

## 5- الكون والطبيعة والزمان:

النبات/ الكون والطبيعة/ الزمان.

## 6- الدولة ومؤسساتها.

## 7- العُدُّ والتقدير.

## 8- أدوات المعاني.

## 9- المشترك في الأفعال والأسماء:

الأفعال المشتركة/ الأسماء المشتركة/ الألوان/ الأشكال.”

## الرصيد اللغوي في خطة تطبيقية جديدة

يتبادر تساؤل معاصر ونحن نطوي العقد الثاني من الألفية الثالثة هل يصلح أو يكفي هذا الكم من الكلمات الذي جمع في مشروع الرصيد اللغوي لتعليم جيل يرى مستجدات دخلت كل ركن في حياتنا؟ الإجابة الواقعية تقول بأننا لا بدّ أن ننتقل من نواة منجزة لا أن نعيد العمل دائماً من نقطة الصفر، وسنورد خطوات وأدوات لنجعل مشروع الرصيد حيويًا وفعالاً:

1 - إن هذا الكم في الرصيد اجتهاد قدمته مجموعة من الباحثين برؤية لها أبعادها، وبشيء من التعاون العلمي (اللغوي والتربوي والثقافي) يمكننا أن نستدرك جوانب في تويب الأقسام، وفي محتواها من المفردات الذي تأثر بنظرة تغليبية وهذه تبقى احتمالية وقابلة للمناقشة، فمن ذلك أن التقديم لهذا الرصيد كما مرّ بنا في عرض المشروع تأطر بأنه "ضبط سياسة لغوية تمكّن من التطور الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وتحقق الذات العربية الإسلامية" (3) وكان الصواب أن تكون "تحقق الشخصية الثقافية العربية" لأنها تشتمل على المضمون الإسلامي وكل الثقافات الموجودة في المجتمع الذي يضم المسيحي بجوار المسلم عبر القرون وأطياً متعددة تلتقي في إهاب حضاري/ ثقافي متكامل، وبناء على تلك الرؤية نلحظ نقصاً في الدوال/الكلمات المعبرة عن المسيحية في قسم (الدين) واقتصرت على ثلاث فقط بدءاً من الصف الرابع: "مسيحي، قديس، دير"، وهناك حاجة إلى كثير من الدوال لأطفال هذه المرحلة من التطور الحضاري، وهم يستخدمون الهواتف الذكية، ويشاهدون ما ترسله وسائل الاتصال، وقد رأوا وسمعوا وقائع الأحداث والأحوال المعاصرة التي لا بدّ أن تقترن بدوالها العربية، وثمة هامش هو أننا لا نكتفي في الرصيد بما حول الأطفال في الحيز القريب فقط وإنما نضع ما ينبغي أن يستكمل دائرة المعرفة وضمن الاستطاعة النفسية العمرية، وهناك إمكانات لتعديل في القسم الذي حمل عنوان "أدوات المعاني"؛ وزوايا أخرى.

2 - إن القيمة الفاعلة لهذا الرصيد- وما يضاف إليه- هي أنه من خلال التدريب على الكتابة بكل الصور بالقلم أو بأزرار الحاسوب نرسخ خطوط الوعي بالعالم لدى الجيل الجديد، فمع إتقان القراءة والتدوين الصحيح يتم مسار الفهم وما يتركب بعدّ من الربط والاستنتاج والقدرة على التعبير، وعندما يجد المتعلم العناية في البيت والمدرسة سوف يقبل على الاطلاع في الكتاب والمجلة الورقيين أوفي الحالة الإلكترونية؛ وهو قادر على الاستفادة المعرفية والثقافية شيئاً فشيئاً، ومن مسلمات البحث أن الرصيد المعرفي بلغة جيدة يحدد المدى الذي يستطيع المتعلم الوصول إليه في إدراك القضايا والمفاهيمات في أبواب العلم النظري والتطبيقي، وهنا نقف في استباق للحديث فنشير إلى أن تداول رصيد لغوي مبرمج للكبار سوف ينطلق من تمكينهم من الإمساك بهذه المبادئ الأولى لأنها مفتقدة أو مضطربة لديهم الآن، وهذا ما يؤدي إلى عدم القدرة على الاستفادة من الكم المعرفي غير المحدود بالعربية واللغات الأخرى؛ في شبكة المعلومات العالمية؛ بسبب ضعف التكوين اللغوي، وضعف المحاكمة والتحليل، ونجد أن ثغرات كثيرة تنفذ منها معوقات في العمل والعلاقات الاجتماعية والفكر نتيجة هذا الضعف .

3 - إن توظيف هذا الرصيد المعدّل يعتمد في التطبيق الأول؛ ونقصد استخدامه في الدروس على شكل قوائم أو من خلال الكتب والقصص التي تبنى على أساس من هذا الرصيد؛ على المعلم أو المدرّب فهو الذي يشرح ويتابع التلقي والتدريب المتفاعل بناء على حصيلته المعرفية وخبرته التربوية التدريسية، وهنا بيت القصيد، فلا بدّ من تمكين هؤلاء المعلمين والمعلمات في دورات ومتابعة بعدها لغويًا ومعرفياً وفكرياً لشرح الدوال على نحو واضح وميسر وقادر على إضاءة ولو بسيطة في حالات بعض التلاميذ الذين يتميزون برغبة جامحة للمعرفة أو لديهم من خلال بينتهم زاد وفير

ويتطلبون المزيد. وفي نظرة واقعية نوّكّد على دور المعلم لأن البيئات العربية لا تتمتع بالأدوات الحديثة بدرجة واحدة، فهناك مدارس في العواصم والمدن الكبرى تأخذ بأحدث الأساليب والأجهزة وهي محصورة بمن يدفع الأرقام الممتدة أصفارها يمينا، وهناك مدارس في أرجاء عديدة لا تكاد تجد اللوح أو مكان الجلوس في قاعة درس.

4 - يقترن مشروع الرصيد العربي - في التصوّرات والقرارات والأعمال التي باشرها الباحثون- بالمعجم الذي يتوجه إلى التلاميذ والطلاب في مراحل التعليم، وقد تعددت الآراء والنتائج في هذا المجال، ولكننا نرى أن الإجراء التعليمي إنما يقوم على أساس هو تنظيم مجموعة الدوال المختارة على شكل قوائم هي أشبه بتنظيم الحقول الدلالية، وهي التي عرفت كتباً تراثية عنيت بها وأعطيناها في دراساتنا الحديثة مصطلح " معاجم المعاني " كما في " المخصّص لابن سيده وما كان على طريقتة في إيراد الدوال في مجالات الطبيعة والإنسان والحضارة، وفي حقيقة توظيف الجهد اللغوي القديم كانت هذه القوائم مادة تداول في حواضرنا العربية الأقدم قبل الميلاد في بابل ومصر القديمة وإيبلا وأوجاريت وماري، وكما في الحضارات القديمة في الهند(4)، وهي أداة الإمساك بخيوط لغوية تنسج في استعمال؛ وهذا ما شهدناه عندما بدأ جمع اللغة العربية، فكانت الرسائل أول وعاء يحفظ ويعين على الاستخدام ( الحشرات، الخيل، اللبأ واللبن، خلق الإنسان... )، ومن جهة أخرى يبدو لنا المعجم أداة مكملة وتالية في تحصيل اللغة والارتقاء بها عند تدريس تلاميذ المرحلة الأولى من التعليم الأساسي سواء جاءت متسلسلة بمدخل معجمية أو بلوحات مركبة مع تسميات، وتحتاج إلى ترتيب خاص وبنية تصويرية من الرسوم والصور الطبيعية، ولن يكون في مقدور الطفل أن يفتح المعجم ليقرا الشرح، وإنما سيكون مع صور وأشكال ومعها كلمات بسيطة يبدأ بها الاعتياد على فكرة العودة إلى المعجم بمفرده بعد صحبة المعلم والمعلمة في بدء التعامل مع اللغة منهجياً.

5 - نشير إلى عدد من تجارب تصنيف المعاجم العربية في إطار تعليمي مدرسي، وهذه وقفة مختارة وليست مفصلة أو استقصائية لأننا نتطلع إلى الربط بين القوائم في الرصيد والمعجم المدرسي، ونحدد الاختيار بما كان له سيرورة واسعة، وهو أقرب إلى أن يكون مشروعاً قومياً، ونقف عند التأليف الخاص سواء كان لمؤلف أو لأكثر لتوضيح الحالة والمقارنة والبحث عن اكتمال الرؤية و التطبيق:

1 - كانت طباعة (مختار الصحاح) - الذي أنجزه أبو بكر الرازي (ت.نهاية القرن السابع الهجري) مما قدمه الجوهري في معجمه ( الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية)(393هـ)- سنة 1907 م في وزارة المعارف المصرية في القاهرة من أقدم خطوات توظيف المعجم في مجال التعليم، ويقع المعجم بمجلده الواحد في ما يقارب السبعمئة والخمسين من الصفحات (750) وجاء التطوير فيه - بعد "حذف كل ما لا ينبغي أن يطرق مسامع الناشئة من الكلام"- (5) في مجال قلب المداخل بحسب الأوائل كما هي في معجم (أساس البلاغة) للزمخشري، وفي بعض الهوامش الموضحة لبعض الألفاظ، ولم تُحدد مرحلة بعينها يخصها المعجم، وقد طبع على مدار العقود في أرجاء الوطن العربي حتى غدا من الكتب المعجمية الميسرة لدى كثير من الباحثين يعودون بسرعة إليه، وإلى عامة القراء والطلبة في كل المراحل التعليمية، ونلاحظ في هذا الجهد المحافظة على العبارة القديمة الشارحة وغياب الدلالات المستجدة، فالفائدة تكمن في ضبط الألفاظ وأوزانها وإدراك دلالاتها في جزء من المتداول اللغوي المعاصر.

2- كان تصنيف معجم ( الرصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الأولى من التعليم الابتدائي)(6) وهو في مجلد واحد بعناية اللجنة الدائمة للرصيد اللغوي في الجزائر حيث طبع سنة 1975 استجابة لقرار وزراء التربية في أقطار المغرب العربي المغرب و الجزائر وتونس وليبيا سنة 1967، ولم يحدد مؤلف أو مؤلفون بالاسم، وقد اقتصرَت الإشارة في مقدمة الكتاب إلى الدول الثلاث الأولى منها مع



بيان الهدف وهو حلُّ "مشكلة جد خطيرة وهي ضبط سياسة لغوية أصيلة ناجعة تساعد على تحقيق أهدافها من التطور الشامل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وتمكينها في الوقت نفسه من توطيد كيانها العربي الإسلامي" (7)، وتم تحديد ماهية الرصيد في هذا المعجم بأنه "مجموعة مفردات عربية تؤدي مفاهيم الطفل في سن معينة، تلك المفاهيم التي وردت على لسانه؛ وتلك التي أضيفت اعتباراً لحاجته، وهذه المجموعة تمثل ما قد يحسن للتلميذ أن يلمَّ به أثناء سنواته الدراسية الثلاث الأولى" (8). تتابعت ألفاظ هذا الرصيد اللغوي في مداخل معجمية حسب تتابع حروف كل لفظ لا بحسب الجذور، مع أن المعجم يضع الجذر بين معقوفتين [ ]، ويذكر مع كل لفظ ما يقابله من الكلمات الفرنسية في تصنيف أول بلغت صفحاته (210) مئتين وعشر صفحات، ثم تأتي هذه المجموعة في تصنيف آخر – ضمن المجلد نفسه- بحسب المداخل الفرنسية مع مقابلها العربي وبلغت صفحاته (179) مئة وتسعاً وسبعين صفحة. وعلى هذا لانجد شرحاً للألفاظ لا بالعربية ولا بالفرنسية، وإنما هي حالة معجم ثنائي اللغة.

3 – أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعجم (الوجيز) في مجلد واحد سنة 1980، وهو مكوّن من خمسة آلاف مدخل مختارة من المعجم الوسيط الذي أصدره المجمع سنة 1960، وجاء في المقدمة: "ولقد اختارت لجنة الوجيز من مادة (الوسيط) ما رأيت فيه الوفاء بحاجة الطلبة في هذا المستوى من التعليم مراعية سبيل القصد، مهملّة الغريب المهجور والحوشي غير المأنوس مؤثرة الدقة والوضوح في شرح الألفاظ أو تعريفها حريصة على أن تكون بلغة عصره، لا يلتزم عبارات الأقدمين التي كثيراً ما جاءت غامضة عسيرة على الفهم"، وأشارت المقدمة إلى أن اللجنة "أدخلت في مادة المعجم ما رأته ضرورة على إدخاله من الألفاظ المولدة أو المعرّبة أو الدخيلة، أو المحدثّة التي أقرّها المجمع وارتضاها الأدباء فجرت على أسنتهم وأقلامهم" (9).

جاءت المداخل المعجمية بحسب أوائل جذورها، وترسّمت مسار (الوسيط) في الجانب الصرفي والنحوي والدلالي، فتتابعت الأفعال قبل الأسماء، وجاءت الثلاثية أولاً ثم الرباعية ثم الخماسية...، وسبق اللزوم المتعدي، وقدمت الدلالات الحسية قبل العقلية المجردة.

4 – طبعت وزارة التربية السورية سنة 1985 (المعجم المدرسي) الذي ألفه محمد خير أبو حرب، وتبلغ صفحاته الألف والمئة والثلاث والثمانين (1183) في مجلد واحد، ولم تُحدد مرحلة بعينها يتوجّه إليها، فقد جاء في المقدمة: "وبذلك نربط الأبناء بلغة الآباء والأجداد، وتهدم الحدود التي أقيمت في طريق تطور اللغة ونموّها" (10)، ويفهم من إطلاق التسمية مع النسبة (المدرسي) شموله المراحل الدراسية كلها.

رتبت الكلمات معجمياً بحسب أوائل جذورها الحرف الأول فالثاني فالثالث، وذكرت الأفعال ثم مشتقاتها، وأما عن سمات هذه المجموعة من الكلمات المشروحة- التي لم يذكر عددها- فتشير المقدمة إلى أنه "روعي في هذا المعجم أن يكون واضح الأسلوب، محكم التبويب، ملتزماً باللغة الفصيحة في عبارته... مكتوباً بلغة عصره وروحه... موسعاً صدره للجديد من لغة العلم والأدب وألفاظ الحضارة، مورداً طائفة من الفوائد النحوية وعداداً من الأعلام الأدبية التاريخية، وأسماء المدن وبعض المصطلحات العلمية والفنية الشائعة" ويضم هذا المصنّف "ما تناثر من جواهر العربية في أمهات المعجمات لأئمتنا الثقات، ويضم بعض ما استحدثت من الألفاظ والمصطلحات... [وما جاء في] مجامع اللغة العربية ومجلاتها.. وما أقرته.. [وما جاء في] المعجمات الصادرة عن المكتب الدائم لتنسيق التعريب بالرباط" (10).

واضح من هذا السياق أن المعجم نتاج جهد فردي قام به مؤلفه، ومن غير التنسيق وفق خطة تربوية محددة في مراحل التعليم، ولا في ترتيب محدد مع مشروعات عربية أخرى، لكن الوزارة رأته فيه جهداً علمياً مفيداً فعملت على نشره وتوزيعه على المدارس في سورية.

5 – ثمة معجمات صنفها أصحابها خارج المؤسسات؛ كل وفق اجتهاده ورضه، ونشير إلى حالة هي

في الطرف الأقصى من العمل في هذا المجال (الرصيد، المعجم، التعليم) : صدر (المعجم الصافي) في السعودية سنة 1401هـ - 1980م، وحمل التأليف اسمين "صالح العلي الصالح، وأمينة الشيخ سليمان الأحمد" هو في مجلد واحد بلغت صفحاته سبع مئة واثنين وسبعين، ورتبت الكلمات بحسب أوائل جذورها، وأما عن خصائصها فنورد ما جاء في المقدمة: "لما كانت حاجة الجيل الصاعد إلى معجم ميسر ليستعين به على فهم معاني الكلمات الحيّة المتداولة في مجتمعه العربي، وتجاوباً مع مصلحة الثقافة العامة لهذا الجيل فقد وضعنا هذا القاموس، وأسميناه المعجم الصافي، واستخلصناه بالدرجة الأولى من قاموس (لسان العرب) للعلامة ابن منظور." (11)

ولم تتضمن هذه المقدمة تفاصيل عن المنهج في الاختيار للكلمات، وتحديد مصادرها فقد فهمنا أن هناك مصادر أخرى غير (اللسان)؟، ولا منهج اختيار الشرح المعجمي، وتقديمه للكلمات الحيّة.. ولهذا الجيل الذي سيقراً بعينه المعاصرة في هذا المعجم مادة (أ ج ص) فيجد : "الأجاص، والانجاص من الفاكهة معروف الواحدة أجاصة" و مادة (ف ر ن) فيجد: "الفرن الذي يخبز عليه الفرني وهو خبز غليظ، وهو غير التنور، الفارنة خبازة هذا الفرني، الفرني الرجل الغليظ الضخم، الفرن المخبز، الفرنية الخبزة المستديرة العظيمة". وخصصت هذا العمل بشاهد من مواده دون سواه من المعاجم السابقة للمفارقة الظاهرة بين الهدف والمادة المعروضة، ولمناقشة المستقبل في تأليف أو تصنيف ما سقدمه للأطفال والفتيان في المرحلة الأعلى.

النظرة المجملية لتلك النماذج من الأعمال المعجمية تدعونا إلى لمّ شمل الباحثين في المؤسسات التربوية والثقافية ومجامع اللغة ومنظمات عربية، ومتابعة مشروع الرصيد اللغوي في مراحل متعددة على نحو منهجي فاعل كيلا تنفق الأموال على ما يجرفه تيار الحياة المتسارع بسبب نقاط الضعف في تكوينه.

ثمة دراسات حول المعجمات العربية الحديثة والمعاصرة والجوانب التربوية، في كتب ومقالات ورسائل جامعية تناولت ما طبع منذ أوائل القرن العشرين إلى أيامنا يمكن الاستفادة منها في مشروع الرصيد العربي المعاصر؛ إما بجيد في مصنفات يؤخذ به؛ أو برديء بنيت عليه أعمال تتجنب خطواته، فالساحة كما في كل زمان تملأها النوايا الإيجابية والرغبات السطحية.

## تطبيقات ومراحل في مشروع الرصيد اللغوي

### مداخل إلى التطبيقات:

1\* إن الغاية المرجوة من تنفيذ برنامج تطبيقي للرصيد اللغوي هي: إتقان المتعلم في المدرسة (ثم المتدرب في الدورات المنظمة لفئات متعددة في الفضاء العام) لتداول الرصيد اللغوي في كل مرحلة من مراحلها (في القسم المخصص لكل صف دراسي/ أو برمجة محددة لمستوى تداولي): قراءة، وكتابة (إملاء) ونطقاً في حديث وحوار.

2\* إن المتعلم لن يُحصر في حياته اليومية والمدرسية بهذه المجموعات من الكلمات الأساسية المحددة، ولكنه يتلقى على أنحاء مختلفة من مصادر مباشرة ممن حوله أو يصادفهم، ومن مصادر إعلامية وتواصلية حديثة قدرأ من الكلمات، وهي في حالات متفاوتة الدقة والسلامة اللغويتين، فكما كان متمكناً من الأداء السليم فيما يمكن تسميته (النواة الصلبة) من الرصيد اللغوي يستطيع القياس عليها، ويصحح أو يتوقف مع كل ما يتلقاه بحسب قدراته، ويكتسب المزيد من الدوال في صوغ سليم ودلالة دقيقة.

3\* ثمة تصوّران لتنفيذ مشروع الرصيد اللغوي في المدرسة الابتدائية (1-6) أولهما أن تكون

الخطوة الأولى مع الصف الأول وينتقل سنة فسنة مع مجموعة التلاميذ المتعلمين، وهذا يعني أن الوصول إلى النتيجة الكاملة الأولى يستغرق ست سنوات، وهناك التصور الآخر الذي يتوجه في مسارين واحد يتسلسل كما ذكرنا مع تلاميذ الصف الأول، والمسار الآخر يباشر مع الصفوف الأعلى (2، 3، 4، 5، 6) في الجزء المخصص لكل منها في الرصيد مع اختبار لإدراك التلاميذ للكلمات في القسم أو الأقسام في السنة أو السنوات السابقة من خلال النصوص القصصية والتمثيلية الدرامية التي سنشير إليها. وفي هذا التصور يكون المشروع قد باشر في كل سنوات الدراسة في بدء زمني واحد.

### \* إجراءات التدريس أو الإرسال للرصيد اللغوي في الإطار العام:

- \*\* يُعرض الجزء المخصص من الرصيد لكل صفٍّ/ مرحلة في منظومات جمل أو عبارات؛ بحسب الحاجة إلى وضوح الدلالة؛ بمنهج تفاعلي شفهي مع الاستعانة باللوح/السبورة حتى يبلغ المتعلم درجة إتقان القراءة والكتابة (الإملاء) والكلام في حديث وحوار.
- \*\* تُستخدم الأدوات الشارحة لكلمات الرصيد اللغوي في التدريس بحسب الإمكانيات المتاحة في البيئة المدرسية؛ إضافة إلى اللوح، وهي مقرونة دائماً بالمناقشة وتدريبات بعد العرض:
- \* فهناك اللوحات الورقية (أو ما يكون من مواد التصنيع الحديثة) الملونة المطبوعة لمشاهد مفردة أو مركبة للأشخاص والأشياء والكائنات والأحداث (كما الشأن في مصورات الجغرافية والعلوم...).
- \* وهناك المشاهد المصورة تُعرض على شاشة متصلة بالحاسوب، وهي ثابتة أو متحركة تنتقل مع المعلم أو المدرّب، وفي أماكن الوفرة يكون لكل تلميذ شاشة حاسوب خاص يتابع الشرح للكلمات مع الصور مع المعلم .
- \* وثمة النصوص القصصية المطبوعة في سلسلة تستوعب الكلمات في كل مرحلة/صف، وستكون في إطار حيوي.
- \* وهناك الأعمال الدرامية التمثيلية المتوجهة إلى الأطفال تتضمن الكلمات المخصصة من الرصيد في الحوار التمثيلي وما يكون من تعليق.
- \*\* نحن نلجّ على جانب خطير يتوقف عليه نجاح تطبيق الرصيد اللغوي؛ وقد عرفنا نتائج مريرة لمشاريع تعليمية هامة من قبل بسبب عدم كفاءة من يوكل إليهم القيام بالتنفيذ؛ فلا يمكن إسناد العمل لمعلم أو لمدرّب إلا بعد التأكد الموضوعي من تحصيله:
- سلامة النطق، نقصد الأداء لأصوات الكلمات على نحو صحيح مخارج وصفات، وعلاقات تركيبية لوظائف الأصوات.
- الدراية الواسعة في علم الصرف وتشكيل الكلمات باشتقاقاتها، و تراكم هذا الجانب هو من نقاط الضعف في تدريس الصرف في المدارس والجامعات بسبب الاكتفاء بأمثلة محدودة، وإهمال الممارسة المستمرة لإيجاد الإحساس اللغوي بالكلمات في أوزانها والقيم التعبيرية المقرونة بها التي تقرب اللغة من تلبية الأغراض في التداول اللغوي. وهنا ليس قصدنا أن يصبّ المعلم/ المدرّب كما من المعلومات النظرية، وإنما القصد إلى قدرته على التطبيق المبني على درايته، ويترك التنظير لحلقات مختلفة من الدراسة .
- الدراية بعلم الدلالة وأبعاد السياق اللغوي في التمارين والنصوص التطبيقية .
- الدراية السيميائية من حيث هي مكوّنات السياق الخارجي (خارج لغوي) الذي يفيد في الشرح والتقريب والتناسب بين الكلمات والمحيط في البيئة التعليمية أثناء التدريس.

## \*المسار الأعلى في تطبيقات الرصيد اللغوي:

يتمثل المسار الأعلى في تطبيقات الرصيد اللغوي في دروس أكثر تفصيلاً وعمقاً، وهذه تجري بعد التلقي العام في الدروس للكلمات في كل صف، وينقسم إلى قسمين:

### \*\* الحديث والتعبير في الأداء الشفهي والكتابي:

وقد ميّرنا هنا بين هذين القسمين رغم ما يبدو من تماثلهما في العملية التعليمية، فالحديث هو القدرة على استعمال الكلمات في مجال نصّفه وننقله إلى الآخرين بما فيه من أشخاص وأشياء وأحداث على نحو موضوعي مجرد، وهو الأساس الأولي لما سيغدو ضمن مصطلح (التقرير الإخباري، والتقرير العلمي في كل المجالات، وما يكون من خبرة التقديم الشفهي للأفكار والمشروعات)، والتعبير هو إعطاء المشاهد وتقديم الأحداث من زاوية خاصة تشتبك والانفعال، وهذا هو ماسيغدو تعبيراً غنائياً ذاتياً وسوف يتطور مع أصحاب المواهب الأدبية.

\*\*\* ويجري العمل في هذا الجانب وفق أساليب تربوية ولغوية لها مداها الذي لا تتسع له هذه الدراسة الموجزة الأولية، وإنما تفتح له صفحات تفصيلية منهجية.

### \*\* المحادثة والحوار:

تقوم الدروس في هذا الحيز على استخدام كلمات الرصيد لاكتساب خبرة تبادل الجمل في الحوار بين اثنين؛ ثم في مراحل بين أكثر من متحاورين؛ وذلك حول الجوانب المادية اليومية، ثم تتدرج مع الصفوف والتمرّس إلى شؤون تمتد إلى الجوانب المختلفة.

\*\*\* لا يتسع المجال لاستعراض أنواع المحادثة والحوار وقوانين النحو والتركيب في أبعاده الأسلوبية، والعلاقات الدلالية السياقية، فهذا مجال البرمجة المفصلة.

إن النتائج العملية الوظيفية المؤثرة في النمو الحضاري التي تتحقق في هذا التطبيق للرصيد اللغوي تداولياً بدءاً من المرحلة الأولى (الابتدائية) ووصولاً إلى المستويات الأعلى تذهب إلى:

1 - إتقان الحوار اليومي والتقليل من سوء الفهم بين أفراد المجتمع وبلوغ حالة التواصل الإيجابي، وما ينعكس من حركة متصاعدة.

2 - نمو الحساسية اللغوية للمصطلح في كل جوانب التعامل في اختصاصات القانون والشريعة والاقتصاد، والتداول لنتائج الفكر والسياسة، وتعليمات الإدارات الرسمية، وفي العلوم والمجالات الحرفية...، وهذا مفتاح الإغناء المعرفي.

3 - نمو التدوّق الجمالي للغة في قراءة الأدب بضروب خطابه في الغنائية والسرديات والمسرح، وفيما تركب في الأعمال الدرامية في العروض المسرحية و في السينما والإذاعة والتلفزة، وهنا طريق الغنى الإبداعي المعتمد على بنية لغوية وروى جديدة مع التطور.

ولعل توصية وظيفية تفيد في الوصول إلى إنجاز سريع وفعال وهي : دعوة مجمع اللغة العربية؛ ومن ثم المجمع الشقيقة؛ إلى تشكيل وحدة عمل دائمة تتابع تنفيذ مشروع الرصيد اللغوي والدراسات المعجمية والدلالية، والتفاعل مع هيئات التربية والثقافة.

### هوامش:

- (1) الرصيد اللغوي لتلاميذ الصفوف الستة الأولى من مرحلة التعليم الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1989، سيتم عرض المشروع ماهيته وأهدافه من خلال المقدمة في هذا الكتاب ص. 3-23.
- (2) الرصيد اللغوي. ص. 8.
- (3) الرصيد اللغوي، ص. 7.
- (4) تاريخ علم اللغة منذ نشأتها إلى القرن العشرين، جورج مونين، تر. د. بدر الدين القاسم الرفاعي، وزارة التعليم العالي، دمشق 1972، ص. 49-50.
- (5) مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ترتيب محمود خاطر، تحقيق وضبط فتح الله حمزة، دار البشائر دمشق، دار الرسالة بيروت 1985، ص. (د) من المقدمة.
- (6) الرصيد اللغوي الوظيفي للمرحلة الأولى في التعليم الابتدائي، المعهد التربوي، الجزائر، ط1، 1975.
- (7) الرصيد اللغوي الوظيفي، ص. (أ) من المقدمة.
- (8) الرصيد اللغوي الوظيفي، ص. (ب) من المقدمة.
- (9) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1 1980، ص. 10-11.
- (10) المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، وزارة التربية، دمشق، 1985، ص. 17-18.
- (11) المعجم الصافي، صالح العلي الصالح وأمينة سليمان الأحمد، الرياض 1401هـ-1981م، ص. 3.